مرتكزات ما بعد الحداثة في رواية أخوة محمد للروائية ميسلون هادي
(دراسة تحليلة)

م. ايمان حسين محي
كلية الهندسة - جامعة بغداد

مفهوم ما بعد الحداثة

مجموعة من الثقافات أو التأويلات التي تولد قدراً من الارتياب حيال موضوعية الحقيقة والتأريخ والمعايير، والطبائع المتعينة والهويات المتماسكة. وهناك من الباحثين والدارسين من يربط "ما بعد الحداثة" بفلسفة التفكيك والتقويض، وتحطيم المقولات المركزية الكبرى التي هيمنت على الثقافة الغربية من افلاطون إلى يومنا هذا.

مرتكزات مابعد الحداثة

تعد مرتكزات ما بعد الحداثة مجموعة مناهج جاءت بها الحضارة الغربية والتي انبثقت من تفكيكية جاك دريدا هدم المقولات المركزية وفضح الايديولوجيات وتعرية الخطابات المركزية. فهي حركة خطيرة و هدامة تعكس مدى القلق وعدم الاستقرار النفسي وطبقت على المجتمعات الفقيرة ومنها لبنان وليبيا والعراق تحديداً الذي رسمت فيه الفوضى وانعدام الأمن والاستقرار،ومن أهم المرتكزات:

- التشكيك والتفكيك والتفتيت والتقويض والتناص والفلسفة العدمية وما فوق الحقيقة والدلالات العائمة والتفكك واللاانسجام والمخطوط وهيمنة الصورة واعادة الاعتبار للسياق والنص الموازي وتحطيم الحدود بين الاجناس الادبية. إذ تسلحت مرتكزات مابعد الحداثة بمعاول الهدم والتشريح لتعرية الخطابات الرسمية وفضح اللأيدويولوجيات السائدة المتآكلة باستعمال لغة الاختلاف والتضاد والتناقض.

التقويض

التقويض: تهدف نظرية ما بعد الحداثة إلى تقويض الفكر الغربي بالتشتيت والتفكيك فهي تسعى إلى تعرية الخطابات الرسمية وفضح الأيديولوجيات السائدة المتآكلة، وذلك من خلال لغة الاختلاف والتضاد والتناقض.

أما توظيف مفهوم التقويض في السرد فنلحظ الراوية قد وظفته عبر مقاطعها السردية ومنها "مهما كانت الأوضاع الأمنية سيئة والمباني خربة والشوارع محطمة والكهرباء متردية، فهي لديها الأمان التام ما دامت تمشي وتلملم أدق نواعم البيت في صناديق محكمة و نظيفة وتمسح حتى أوراق الأشجار بعد العواصف الترابية ومنٍ داخل هذا الحبس الجماعي الذي يلزمنا بيوتنا من الساعة الخامسة عصراً، تنجو هي بنفسها وعقلها من الضجر والوحدة و الكآبة والحزن على زوجها عن طريق التايد والديتول والتنظيف المستمر"

التشكيك والعدمية

التشكيك :أهم ما تتميز به ما بعد الحداثة هو التشكيك في المعارف اليقينية، ويعد التشكيك من آليات الطعن في الفلسفة الغربية المبنية على العقل والحضور والدال الصوتي.

العدمية: من يتأمل جوهر فلسفات ما بعد الحداثة فإنه سيجدها فلسفات عدمية وفوضوية لا تقدم بدائل عملية واقعية وبرغماتية بل هي فلسفات عبثية لا معقولة تنشر اليأس والشكوى والغموض في المجتمع.

وممكن أن نرصده في المقطع السردي "لا يوجد بصراحة ما تقصينه عن هذا الشارع .. فماذا يمكن أن يوجد فيه سوى القتل والخطف والتفجيرات؟ حرارة أيام لاهبة مع جرحى واموات، وغير ذلك من الآلام والأهوال والظلمات" .

فهنا ترصد الراوية عدمية المكان وفوضويته القائم على اللامعقولية المبني على القتل وخطف والتفجيرات التي ولدت الشكوى والألم والفوضى في المجتمع.

التفكك واللاانسجام

- إذا كانت الحداثة تبحث عن الانسجام والنظام من أجل الحصول على بنية كلية شاملة، فإن " فلسفات ما بعد الحداثة " هي ضد النظام والانسجام بل هي تعارض فكرة الكلية و في المقابل ، تدعو إلى التعددية والاختلاف واللانظام، وتفكيك ما هو منظم ومتعارف عليه ".
- تقول الراوية"" - يمكن بس انا وانت بقينا بالشارع

- كل البيوت الي بصفي فرغت .. من بيت ابو النبكة ولحد بيت ابو المولدة".

- فالراوية وظفت ثيمة التفكك في هذا المقطع لتعكس لنا تشظي المجتمع الذي سببته افرازات ما بعد الاستعمار.

التناص

يعد التناص إحدى النقاط المشتركة لأنصار ما بعد الحداثة الدولية في سرد وبناء وتفكيك الحقيقة،والتناص يعني استلهام نصوص الآخرين بطريقة واعية أو غير واعية، ويدل على التعددية.

ونلحظ التناص في المقطع السردي:

إذن فالرواية كما يقول صلاح فضل مثل (جوف الفرا) يتسع لكل شيء غير أنه يحتاج إلى جلد بطن متماسك يحتويه"

- وما هو جوف الفرا؟ -

المثل قديم و أصله أن قوماً خرجوا للصيد فصاد أحدهم ظبياً، وآخر أرنباً - وآخر فرا وهو الحمار الوحشي فقال لأصحابه: كلّ الصيد في جوف الفرا، أي جميع ما صدتموه يسير جداً في جنب ما صدته".

تفكيك المقولات المركزية

استهدفت ما بعد الحداثة تقويض المقولات المركزية الغربية الكبرى كالدال والمدلول واللسان والكلام، والحضور والغياب، إلى جانب إنتقاد مفاهيم أخرى كالجوهر، والحقيقة، والعقل، والوجود، والهوية، وذلك عن طريق التشريح، و التفكيك والتقويض والتشتيت، والتأجيل.

يمكن أن نرصد هذا المرتكز في قول الراوية " لا سلطة الائتلاف المؤقتة ولا مجلس الحكم ولا بول برايمر ولا قوات التحالف ولا العراق الجديد جعلت حياتنا أفضل من السابق".فالراوية هنا تكشف وتعري وتفضح الاوهام الايديولوجية والسلطوية التي لم تمنح الافضل لحياة الشعب العراقي ولم تات بجديد عن السابق.

التاريخانية الجديدة

- تدرس التاريخانية الجديدة النص الأدبي في سياقه التاريخي والثقافي، لاستكشاف الأيديولوجيا، ورصد القوى الاجتماعية التي تشكل النص فالتاريخانية الجديدة تعمل على تفكيك هذه الدلالات المتناقضة عن طريق آليات التقويض والتشتيت.
- وخير أنموذج على مفهوم التأريخانية تسفر عنه الراوية في المقطع السردي ساخرة من التأريخ "معذرة يا أستاذة أنا لا أضحك بلا سبب .. ولكنك كتبت كل يوم بتأريخ مختلف مع أننا في يوم واحد هو الحادي والعشرون من آذار .. ههههه أما السنين فقد اختلفت وتفاوتت وكأننا نطير فوق بساط الزمان كله ههههه بعض السنين كتبتها 2015 ههههه وبعضها 2016 وبعضها 2028 .. واو ! كأنني أرى نفسي في المستقبل .. تعال تعال أيها المستقبل فأنا عاطلة عن الكلام .. تعال وانظر إلى هذا التيه من الزمان.

الهوية

- تعرف الهوية بأنها: علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما، أو جماعة اجتماعية ما، في جميع الأزمنة وجميع الأحوال.

وقد وظفته الراوية في المقطع القصصي "امي تقول بأنها لم تعد تفكر باختفاء المسنين والعجائز من اهلنا، فجدتي الحجية عمّرت حتى التسعين من العمر والشباب هم الذين يواصلون الاختفاء سواء بالخطف أو القتل أو السفر إلى بره". ففي المقطع السردي تسلط الراوية الضوء على قضية مآساوية وهي القتل والخطف على الهوية التي راح ضحاياها الاف الشباب من مختلف الاطياف فضلا عن التهديد والتهجير ذلك العنف الأرهابي الذي لاحدود له فهو لا يعرف لا رحمة ولا شفقة همه الوحيد خلق فضاءً مظلما من الفوضى مليئاً بدم الأبرياء.

الكولاج

- **-الكولاج:** هو تقنية فنية وجمالية تقوم على توليف العناصر و تركيبها جزئياً أو كلياً، سواء أكانت تلك العناصر متنافرة أم منسجمة.
- ونرصد الكولاج في داخل الرواية عندما يقوم بتشظي القصة الأم الى قصص فرعية فيلصق الراوي قصة فرعية داخل الرواية تساهم في تنويع زوايا السرد إذ تقول الراوية: "فعل الملك ما قاله الوزير، فاخذ الخادم الصرة فلما عدها قال: (لا بد أن الدينار الباقي وقع في الخارج ...)فقد كان هدف الأساس من الكولاج هو التشتيت والذي يعد أحد مرتكزات مابعد الحداثة .

الأليغوريا

الأليغوريا في الأدب بمعنى الكشف عن دلالة تعمَّد الكاتب دسّها في طيَّات نصه، دون أن يستشعر القارئ أي إقحام غير مبرر في سياق الحكي.

ويمكن رصدها في المقطع القصصي فتقول:" يحكى أن في قديم الزمان كان هناك إمبراطور ياباني معروف بقوته وشجاعته وقوة شخصيته، وبعد ذلك يلقي قطعة نقد صغيرة عالياً في الهواء ، فان سقطت على الصورة يقول لهم ستتعرض للهزيمة. كانت القطعة دائماً تسقط على الصورة.....فنظر الابن إليها ، فوجد الوجه الاول صورة،وعندما قلبها حدثت المفاجأة ، وعرف سرها على الفور".

المخطوط

- . يمتلك المخطوط بنية متغيرة ومرنة تمنحه القدرة على النفوذ إلى بنى أعمال أدبية كثيرة. ولا يقتصر هذا التوظيف على أنماط محددة من السرد الأدبي فهو موجود في القصص والروايات بمختلف أنواعها كالرواية الرسائلية، وروايات المغامرات والبحث، والرواية الكلاسيكية، ورواية ما بعد الحداثة.
- ويمكن رصد توظيف المخطوط في إحدى المقاطع السردية للرواية فنراها الراوية تقول في المقطع الحواري:
- " - حسنا يا أورشينا ما حكايتك مع الكتابة؟
- - أنا درست علم النفس في الجامعة المستنصرية، تخرجت قبل ثلاثة أعوام. ولا أعرف ماهو المستقبل.. ولا انتظر شيئاً .. لم أتزوج لحد الآن .. ولا أفعل أي شيء سوى الكتابة."
- فقد أشارت الراوية إلى شخصية البطلة المشتتة الأفكار، فهي تكتب ولا تعلم دافعها الرئيس من الكتابة والغرض منها، فهي تكتب بعشوائية جمة برؤى متبعثرة ومتشظية.

الخاتمة

- بعد الدراسة والاستقصاء يمكننا أن نوجز بأهم النتائج التي توصلنا إليها خلال دراستنا للبحث:
- تحدثت الراوية عن جيل نشأ وترعرع على صوت الانفجارات ومشاهد القتل المروعة وحوادث الخطف الأليمة وهي احدى افرازات مرتكزات ما بعد الحداثة.
- وظفت الهوية بشكل جلي وواضح من خلال تصوير حالات التشرد إلى بلاد الغربة هرباً من الواقع الأليم المعاش، وقد أصبح القتل على الهوية علامة تجارية فارقة.
- نلحظ حضور التهكم والسخرية بشكل مكثف، شمل الجزء الكبير من الرواية.
- انمازت الرواية بتعدد الأصوات فهي لا تؤمن بالصوت الفردي فنراها تتنقل من راو إلى آخر بصوت وفكر خاص به.
- نلحظ افتقار التشكيك واللاانسجام في الرواية.

المصادر والمراجع

- ميسلون هادي، أخوة محمد، رواية، دار الذاكرة للنشر، بغداد،2018.
- المسدي عبد السلام ، الأسلوبية والاسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، 1982.
- حمداوي، جميل الكولاج في الخطاب الروائي ، شعلة ابن رشد لاحمد المخلوقي إنموذجاً ، مقالة ، نيوز الجديدة.
- حمداوي ، جميل ، نظريات النقد الادبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، الناظور، المغرب، 2011.

شكرا لحسن الاصغاء